العلاقات الليبية المصرية في العصور القديمة

د.شافية شارن•

المقدمة

يعود تاريخ العلاقات الليبية المصرية إلى فترة ما قبل الأسرات ، وكانت طبيعة هذه العلاقات متعددة الأوجه ، تأرجحت بين الود والتوتر . وسنركز في مداخلتنا على جانبين نعتبرهما أساسيين ، هما الجانب السياسي العسكري والجانب الحضاري .

تتلخص العلاقات السياسية العسكرية في هجمات الليبين المتكررة على مصر ، و نجاحهم في الاستيلاء على السلطة ، حيث تولي ملوك ليبيون في مقدمتهم شيشنق الحكم في مصر في أواخر عهد الدولة الحديثة ، بعد تفشي الفوضى في هذا البلد ، و عصيان الجنود الليبيين المنخرطين في جيوشها . أما العلاقات الحضارية الليبية المصرية ، الدينية منها والثقافية و الفنية ، فتتمثل في تأثير شعبي البلدين كما تفيدنا بذلك المصادر المصرية والرسومات الصخرية الصحراوية الجزائرية التي تعود إلى أقدم العصور .

أولا : العلاقات السياسية الليبية المصرية

تأرجحت العلاقات السياسية الليبية المصرية بين المد و الجزر ، حيث تميزت بالتوتر و العنف تارة ، و المودة تارة أخرى . لقد تجسد التوتر و العنف في هجمات الليبيين المتتالية على مصر ، كما تفيدنا بذلك جملة من المصادر المصرية[1]. و قد تضاربت الآراء حول سبب الصراعات التي ميزت علاقة الليبيين بقدماء المصريين ، بحيث ذهب بعض المؤرخين إلى اعتبار أن الليبيين شنوا غارات على مصر بعد أن حل بهم جفاف حاد أتى على الأخضر و اليابس (الزيتون القمح و الثروة الحيوانية)، أثر في السكان تأثيرا بالغا ، مما دفعهم إلى الهجرة شرقا في اتجاه وادي النيل ، حيث تتوفر العناصر الضرورية للإنسان وعلى رأسها الماء ، في حين اعتقد البعض الآخر من المؤرخين أن المصريين هاجموا ليبيا مرات عديدة ، مثلما هاجموا مناطق أخرى كالنوبة و الفرات و فلسطين وفنيقيا وسوريا بحثا عن الأسواق .

تتلخص تصدي الملوك الفراعنة لهجمات الليبيين كالتالي :

ــ في عهد الدولة القديمة (٢٢٥٠/٢٦٨٦ ق.م.) :

• د. شافية شارن، الجزائر.

[1] حوليات سنفرو للأسرة الرابعة ، رجع هذا الملك لهذه الغارات و تحصينه الحدود المصرية الشمالية و الجنوبية الشرقية المتاخمة لليبيا .

ــ صور الملك ساحو رع من الأسرة الخامسة تبرز تصديه لليبيين و جمعه الغنائم .

ــ مشاهد معبد كل من أبي سمبل و رمسيس الثالث .

حملتا الملكين شفرن (Chefren) من الأسرة الرابعة ، والملك نفريركا ري (Neferirka re) من الأسرة الخامسة .

ــ في عهد الدولة الوسطى (٢٠٣٥/١٦٦٨ ق.م.) :

حملة الملك أمنام حات الثاني (Amenem Hat) من الأسرة الثانية عشر .

ــ في عهد الدولة الحديثة (١٥٥٠/١٠٧٠ ق.م.) :

حرب حتشبسوت في حوالي ١٤٩٠ ق.م. من الأسرة الثامنة عشر ، و تصدي كل من ستي الأول و رمسيس الثاني و مربطح (Merenptah) من الأسرة التاسعة عشر في حوالي ١٢٣٠ ق.م. لليبيين و شعوب البحر .

مقاومة كل من رمسيس الثالث و الرابع من الأسرة عشرين .

بعد ردع هجمات الليبيين ، جنى المصريون غنائم كثيرة تتلخص في قطعان الماشية (أغنام و بقر و ماعز) ، و جلود الفهود و كميات معتبرة من العاج و الذهب و الفضة و الأحجار الكريمة و الأسلحة ، بالإضافة إلى الأسرى[٢].

و تجدر الإشارة في هذا الشأن ، أنه ما إن تقشت الفوضى العسكرية في مصر في الألف الأول قبل الميلادي ، حتى اغتنم الأسرى الليبيون ؛ الذين تحولوا إلى مرتزقة في الجيش المصري ، ثم إلى جنود محترفين و بحارة و حراس الفرعون ؛ الفرصة و أعلنوا تمردهم على السلطة القائمة آنذاك ، و ذهب بعض الضباط السامين في الجيش المصري إلى أبعد من ذلك حيث تربعوا على العرش الملكي كفراعنة .

و قد بلغ عدد الملوك الذين حكموا مصر اثنين و عشرون ، و كونوا على التوالي الأسرات ٢٢ التي اتخذت تل بسطة عاصمة لها ، و كهنة و أحبار بطيبة ، و الأسرتين ٢٣ و ٢٤ التي اتخذت صا الحجر بتانيس (Tanis) بشمال مصر كمركز لها.[٣]

---

[٢] للتوسع راجع ، Breasted (H) , James Henry , Ancient records of Egypt, Historical document , London , 1906 , PP, 66 , 253 , 492 ; Percy (E) , New Berry ta Tehenu olive land ancient Egypt , 1515 , P, 99; Bates (O) , The eastern Libyans , London , 1970 , PP, 213/14

[٣] بلغ عدد ملوك الأسرة الثانية العشرين ثمانية و هم : شيشنق الأول و الثاني و الثالث و الخامس ، و أوسركون الأول و الثاني ، و بيمي ، امتدت مدة حكمهم من ٩٤٥ إلى ٧٣٦ ق.م.

ملوك الأحبار و عددهم تسعة و هم : هارسياسين ، تاكلت الثاني و الثالث ، و ياــ دي ــ باست الأول و أيوبوت الأول و شاشنق الرابع ، و أوسركرن الثالث ، و تاكولت الثالث ، و رودامون ، و إني ، لقد امتدت مدة حكمهم من ٨٧٠ إلى ٧٣٠ ق.م. ملوك

الأسرة الثالثة و العشرين ، و قد بلغ عددهم ثلاثة و هم : با ــ دي ــ باست الثاني ، و أيويوت الثاني و أوسركون الرابع .

ملوك الأسرة الرابعة و العشرين : تق ــ نخت ، و بوخوريس (باك ــ إن زنق) ، لقد امتدت مدة حكمهما من ٧٤٠ إلى ٧١٢ ق.م.

دام حكم الليبيين لمصر أكثر من قرنين (من ٩٤٥ إلى ٧١٢ ق.م.) ، تصدوا خلالها للهجمات الخارجية على مصر ، و سهروا على حمايتها ، و أنقذوها من الانهيار السياسي و العسكري ، كما حرصوا على بعث مجدها القديم شأنهم في ذلك شأن أبناء مصر .

و كما أسلفنا الذكر إلى جانب التوتر و العداء ، اتسمت العلاقات السياسية و العسكرية الليبية المصرية بالوئام و التفاهم في فترة متأخرة ، كما يتجلى من استقبال الملك النوميدي ماسنيسا في قصره بكيرتا (قسنطينة) للملكين البطلميين (Ptolemée VIII) ملك قورينايا سنة ١٦٣ ق.م. و بطلميوس السابع(Ptolemée VII.) ، و المعروف كذلك باسم إيفرجت الثاني (Evergete II) (١٧٠ / ١٦٣ ق.م.) ملك مصر[٤]، و من تنقل الملك النوميدي يوبا الثاني إلى مصر مرات عديدة ، من بينها تلك التي تمت في عامي ٢٥ و ٢٩ ميلادي .

ثانيا : العلاقات الحضارية الليبية المصرية :

يهمنا في هذا العنصر ، الحديث على التأثيرات التي طرأت على حضارتي ليبيا و مصر بعد احتكاك شعوبهما ببعضهما البعض .

١) التأثيرات الليبية على مصر :

فيما يخص التأثيرات الليبية على مصر نستهلها بالتأثيرات الدينية باعتبارها حظيت بالمقام الأول في كل الحضارات ، و في هذا المضمار سجل انتقال عبادة نايت (Neit) أو نيت (Nit) إلهة الحرب الليبية (الصورة رقم ١ ، ٢ ، ٣) إلى صاع الحقار (سايس) بالدلتا ثم إلى نغادو (Nagado) شمال الأقصر (شمال الدير البحري) بمصر العليا تحت اسم ملكي مريت ــ نيت (Merit - Nit) ، منذ عهد ما قبل الأسرات (بين الألف السادسة و الرابعة قبل الميلادي) ، و ظلت عبادة هذه الآلهة قائمة حتى فترة حكم الفراعنة الليبيين ، و يبدو أن تأثير هذه الآلهة الليبية على المصريين بلغ من الأهمية بمكان حتى سميت بعض الملكات المصريات من الأسرة الأولى (٣١٥٠/٢٦٨٠ ق.م.) باسمها مثل نيت ــ حتب حرم نعرمر[٥].

و من الآلهة الليبية الأخرى التي لعبت دورا في الديانة المصرية ، الإله آش(Ash) الذي ورد اسمه كإله ليبي على نقش سحوري (الأسرة الخامسة ، ٢٤٥٨ /٢٤٤٦ ق.م.) ، و يظهر في هيئة رجل له رأس صقر (الصورة رقم ٤) ، أطلق عليه قدماء المصريين اسم " سيد الليبيين " ، و كذلك " الأحمر ملك الصحراء " .

---

[4] Desanges (J) , L hellenisme dans le royaume protegé de Mauretanie , 25 av.J.C./40 ap.J.C., B.C. T.H. 1989 , PP, 20/21; 53/61

[٥] إبراهيم زرقانة ، الحضارة المصرية في فجر التاريخ ، مصر ، ١٩٤٨ ، ص، ١٩٠

و تبدو مساهمة الليبيين الدينية من خلال الكاهنة الليبية نيتوقريس (Nitocris) ، التي كانت في نفس الوقت حرم الإله آمون . و لم تقتصر علاقة النسب التي تربط ليبيا بمصر على نيتوقريس وحدها بل تجاوزتها ، حيث سجلت عقود قران أخرى بين الملوك المصريين و ليبيات ، كزواج الملك خوفو من إحدى الليبيات (من التحنو) ، كما يعتقد أن الملكة حتشبسوت كانت هي الأخرى ليبية الأصل و يطلق عليها اسم " سيدة التمحو " نسبة إلى إحدى أهم القبائل الليبية الشرقية .

و يبدو أن التأثير الليبي على مصر لم يبق حبيس الحياة الدينية و النسب ، بل توسع ليشمل مجالات أخرى كثيرة ، حيث ساهم الليبيون خلال حكم الملك رمسيس الثاني (١٣٠٠ ق.م.) في بناء معبد السبوع بالنوبة ، كما قام أسرحون الثاني (Osorkon II) من الأسرة الثانية و العشرين ، أحد فراعنة مصر ذو الأصل الليبي فيما بين عامي ٨٧٤ و ٨٥٠ ق.م. بتزيين قاعة حفلات معبد الإلهة باستت (Bastet) في مدينة بوباستيس (Bubastis) شمال هليوبوليس .

و فضلا عن دورهم في مجال البناء و العمران ، تولى ليبيون وظائف هامة في القطاعات المدنية الأخرى كالإدارة بعد أن عين حاكم ليبي على مقاطعة[٦]. و رغم أن نمط البناء و النظم الإدارية تكون قد أملتها متطلبات مصرية بحتة ، لكن مهما حرصت مصر على أصالة منجزاتها فإن بصمات الذين طبقوها ستبرز لا محالة .

٢) التأثيرات المصرية في الليبيين

قبل تناول التأثيرات المصرية في الليبيين ، تجدر الإشارة إلى أن الليبيين الذين حكموا مصر ليسوا بالضرورة هم الليبيين الشرقيين (التمحو و التحنو و الشواش ، ...) المتواجدين بالأراضي المتاخمة لمصر و الحاملين لريشة أو ريشتين خلف رأسهم ، كما هو شائعا ، ما دام لا تمييز بينهم و بين الليبيين الغربيين الواقعة أراضيهم في أقصى الجنوب الشرقي الجزائري كجانت و الهجار (كما توضح الصور رقم ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩) .

و لما كانت الحضارة أخذ و عطاء ، تأثير و تأثر ، فعلى نحو المصريين الذين تأثروا بالليبيين ، كما أسلفنا ، تأثر الليبيون بقدماء المصريين . ففي المجال الديني ، يفهم من تصريح هيردوت[٧] المتعلق بالقرابين الحيوانية التي يقدمها سكان شط الجريد (Lac Tritonis) جنوب تونس ، و الذي مفاده أن الليبيين كانوا يبادرون أولا بقطع أذن الأضحية قبل قصف رقبتها ، أن هؤلاء كانوا يقدمون قرابين حيوانية شأنهم في ذلك شأن قدماء

المصريين ، و الظاهر أن هذه العادة كانت منتشرة لدى الليبيين الشرقيين كسكان جرمة

---

[٦] سليم حسن ، مصر القديمة ، ج ، ٧ ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ، ٤٠

[7] Rachid (M) , Les premiers berberes entre meditérranée , Tassili Nil , Alger , Paris IV , 188

(Garama) عاصمة الجرمنتيين ، التي عثر بها على مقبرة خاصة بدفن الماشية تعود إلى القرن الأول الميلادي[٨]، كما كانت هذه العادة سارية المفعول كذلك عند الليبيين الغربيين،كسكان التاسيلي بالجنوب الجزائري و تحديدا بمنطقة منخور(Menkhor) التي اكتشف بها هي الأخرى في عام ١٩٩٦ م. على مقبرة خاصة بدفن البقر يعود تاريخها إلى الألف الخامس قبل الميلادي .

و إذا كانت ظاهرة تقديم القرابين الحيوانية لدى الليبيين تذكرنا بثور منفيس (Menevis) المقدس في هليوبوليس و الإله الثور أبيس[٩] في ممفيس و الإلهة حاتور (Hathor) بطيبة ، فإن المقابر الحيوانية الليبية تشبه مقابر الفراعنة المخصصة لبعض الحيوانات ، كالبقر و القطط و الطيور و غيرها . و تجرنا إلى الاعتقاد أن بعض الليبيين كانوا على نحو قدماء المصريين كما قال هيرودوت ممتنعون عن أكل لحم البقر مثلهم مثل المصريين [١٠]بسبب تقديسها .

و من التأثيرات الدينية المصرية التي تبناها الفراعنة الليبيون في مصر ، تقديسهم لبعض الحيوانات كالقطة باستت (Bastet) و الأسد ماحس (Mahes)[١١]

و بناء على معبد آمون المتواجد في واحة سيوة[١٢] بالأراضي الليبية ، و الذي يتوافد عليه الليبيون الشرقيون كالنسامونين (Nasamons) بسيرت الكبرى[١٣]. و كذلك الليبيون الغربيون كسكان الجنوب الوهراني و الأطلس الصحراوي ، كما تدلنا صور الكبش الذي يعلو رأسه قرص الشمس (الصورتين رقم ١٠ ، ١١) ، و الذي تردد عليه المصريون و الإغريق[١٤]، أن الليبيين و المصريين يشتركون في عبادة الإله آمون الليبي الأصل ، الذي انتقل في الألف الثانية قبل الميلادي إلى طيبة بمصر ، حيث ظهر في شكل رجل له رأس كبش .

و حسب المعطيات الأثرية ، استمر التأثير الديني المصري في ليبيا من عهد الفراعنة إلى غاية عهد الإمبراطورية الرومانية ، التي أباحت عبادة بعض الآلهة المصرية كإزيس و أوزريس. و قد عزز انتشار الديانة المصرية في القيصرية(شرشال) عاصمة موريطانيا القيصرية كليوبترة سلني (Cléopatre Selené) ابنة كليوبترة

---

[8] 1998, P, 292

[9] Herodote , II , 18, 37, 38, 41, 45, 71, 168 , III , 2

[10] Ibid , IV , 186

[11] Ibid , II , 66-67

[١٢] يعتقد أنه يقصد بها عين الحمام التي كان فيها ٢٠٠ ينبوع ماء ساخن ، راجع Azabian , Bull. int.Egypt., IX , 1926/27 , PP, 105/114

[13] Herodote , II , 32; IV, 172 , 188

[14] Ibid , I , 69, II , 42

البلطلمية السابعة زوجة الملك النوميدي يوبا الثاني ، و كذلك الجنود الأجانب فانتشرت عبادة الإله الثور (Apis) و عبادة الجعران[١٥]. و الثور سرابيس (Serapis) في كل من كيرتا و تبسة و جميلة ، و أقيم معبدان لإزيس أحدهما في شرشال و الآخر في لمباز التي أسس بها كذلك معبد للإله سرابيس[١٦]

بالإضافة إلى التأثير المصري على ليبيا ، يتبين أن الفراعنة الليبيين ، خلال مدة حكمهم لمصر تخلوا على لباسهم الليبي الرسمي (الصورة رقم ١٢) ، وارتدوا لباس الفراعنة المصريين (الصورة رقم ١٣) ، كما تزينوا بالحلي الذهبية على الطريقة المصرية القديمة ، كما توضح لنا ذلك أسورتي شيشنق[١٧] (الصورة رقم ١٤ و ١٥) ، كما تأثروا بالمصريين في طريقتهم المميزة في رسم العيون بالكحل .

و مثلما تزوج قدماء المصريين ليبيات ، كما أسلفنا تزوج أوسكرون بن شيشنق الأميرة المصرية ماعت ــ كا ــ رع ، أنجبت منه ولدا أصبح فيما بعد كاهنا للإله آمون[١٨].

ــ رغم المسافة الشاسعة التي تفصل مصر عن الجنوب الجزائري ، يشد انتباهنا مشهد راقصات تازريفي (Tin Tazarifi) بالتاسيلي ، حيث يتميز لباسهن و تسريحة شعرهن بالطابع المصري المعهود (الصورة رقم ١٦) ، و التي تتطابق مع صور الراقصات المصريات بمصر ، فأثارت لدينا جملة من التساؤلات منها :

هل تسرب التأثير المصري إلى هذه الجهة عن طريق الاتصالات الناجمة عن العلاقات التجارية القائمة بين المنطقتين .؟ أم أن هذه الراقصات جلبت من مصر إلى الجنوب الجزائري لعرض نشاطها ؟ أم أن لباس و تسريحة شعر بعض الليبيات كان متطابقا مع ما كان سائدا في مصر صدفة ؟

من الصعب الإجابة عن هذه التساؤلات نظرا لعدم وجود مشاهد مماثلة في المنطقة لكن هناك أمر آخر يدلنا على أن سكان التاسيلي كانوا يعرفون قدماء المصريين، و هو شكل القارب المرسوم في التاسيلي ، و الذي يشبه إلى حد كبير شكل القوارب التي كانت وجدت في مصر ، و الذي يتميز بمقدمة و مؤخرة مقوستين نحت على كل منهما رأس كبش (الصورتان رقم ١٧ و ١٨)

الخاتمة

---

[15] Gsell (S) , Les cultes égyptiens dans le nord Lenormant (A) , Note sur un scarabée découvert en

[16] ouest de l Afrique sous l empire , Revue d histoire des religions en Algerie , Bull. archéo. De l athenaeum français , 1856 , P,

[17] Montet (A لقد اكتشفها مونتي في عام ١٩٣٩ بمدينة تانيس داخل تابوت من الفضة) ، راجع ، A. Stierlin, op cit , P, 122 (يحمل اسم rê chechonq – Heka-kheper

[18] Moret (A) , Le Nil et le commerce egyptien , Paris, 1926 , P, 395

بعد تناولنا لطبيعة العلاقات السياسية العسكرية و الحضارية التي قامت بين ليبيا و مصر منذ ما قبل الأسرات ، نستخلص ما يلي :

ـ قدم العلاقات و تنوعها .

ـ تصدي المصريين لهجمات الليبيين و جمعهم للغنائم الهائلة من جهة ، و إدارة الملوك الليبيين لمصر ، و حمايتها و المساهمة في إعادة بعث مجدها من جهة أخرى .

ـ تفاعل الشعبين الليبي و المصري .

ـ تشابه و تطابق بعض المظاهر الحضارية للشعبين الليبي و المصري .

فهرس الصور

الصورة رقم ١ : رمز الإلهة نيت

الصورة رقم ٢ : الإلهة نيت مع تاج مصر السفلى ، و رمزها فوق رأسها و في أعلى الصورة على اليمين .

الصورة رقم ٣ : الإلهة نيت و رمزها فوق رأسها ، و في أعلى الصورة على اليسار ، Daumas (F) , La civilisation de l Egypte pharaonique , Paris, 1987 , P, 248الصورة رقم ٤ : الإله آش

الصورة رقم ٥ : Lhote (H) , Les vestiges archéologiques des environs de Djanet , P, 30

الصورة رقم ٦ : Hugot (H) , Les gens du matin sahara , dix mille ans d art et d histoire , P, 18, n° 145

الصورة رقم ٧ : Lhote (H) , Les gravures rupestres de l oued Djerat (Tassili N ajjer) , T, I , Alger , 1975 , P, 170

الصورة رقم ٩ : ln , P, 424 , Zwischen weide and Wüste museen der stadt k

الصورة رقم ١٠ : Lhote (H) , Les gravures rupestres du sud fig., 10

الصورة رقم ١١ : Lhote (H) , Gravure rupestre oranais , P, 179

الصورة رقم ١٢ : زي الليبيين de l Atlas saharien , 1984, PP, 64,112

الصورة رقم ١٣ : Osorkon II , Stierlin (H) , Egypte des origines à l Islam , Paris, 1984, P, 19

الصورة رقم ١٤ : Ibid , P, 124

الصورة رقم ١٥ : Ibid , P, 127

الصورة رقم ١٦ : Lhote (H) , A la découverte des fresques du Tassili , Paris, 1958, P, 121

الصورة رقم ١٧ : صورة للقارب المصري في التاسيلي (جنوب الجزائر)

الصورة رقم ١٨ : Champollion- Figeac (M) ,Egypte ancienne ,Paris,MDCCCLXXVI,P, 26

الصورة رقم 1 : رمز الإلهة نيت

الصورة رقم 2 : الإلهة نيت مع تاج مصر السفلى ، و رمزها فوق رأسها و في أعلى الصورة على اليمين .

الصورة رقم 3 : الإلهة نيت و رمزها فوق رأسها ، و في أعلى الصورة على اليسار ،

Daumas (F) , La civilisation de l Egypte pharaonique , Paris, 1987 , P, 248

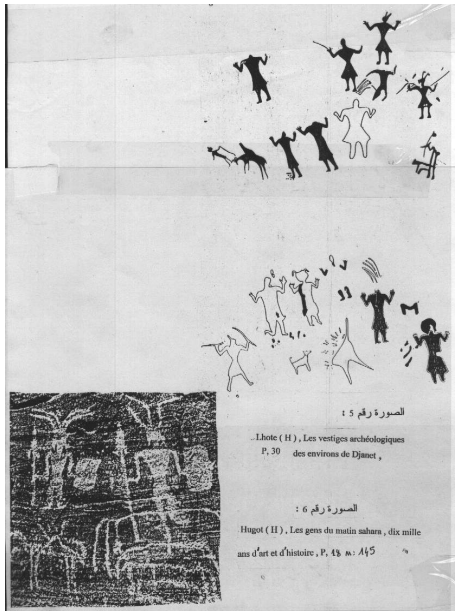

الصورة رقم 5 :

Lhote (H) , Les vestiges archéologiques des environs de Djanet , P, 30

الصورة رقم 6 :

Hugot (H) , Les gens du matin sahara , dix mille ans d'art et d'histoire , P, ٤٦ ص: ٨٩٥

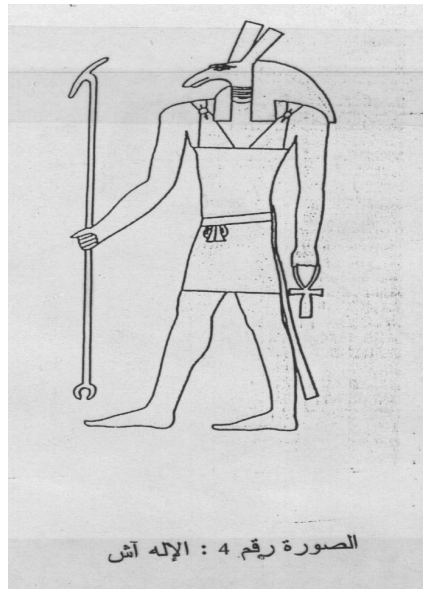

الصورة رقم 4 : الإله آش

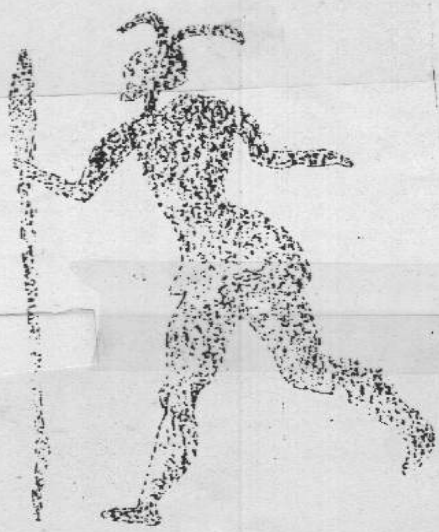

الصورة رقم 8 :

الصورة رقم 7 : Lhote (H) , Les gravures rupestres de l oued Alger , 1975 , P, 170

Djerat (Tassili N ajjer) , T, I ,

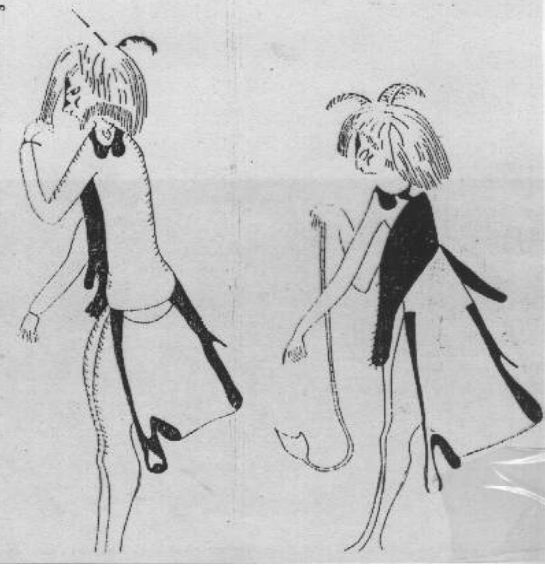

الصورة رقم 9 :

Zwischen weide and Wüste museen

der stadt köln , P, 424 , fig., 10

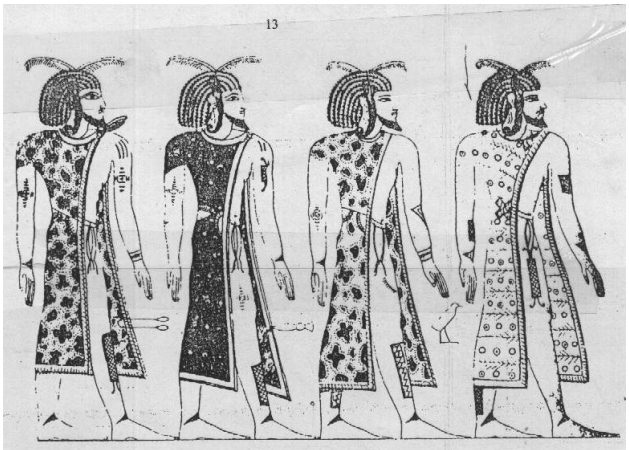

الصورة رقم 12 : زي الليبيين

Osorkon II , Stierlin (H) , Egypte des origines à l Islam , Paris, 1984, P, 19 : الصورة رقم 13

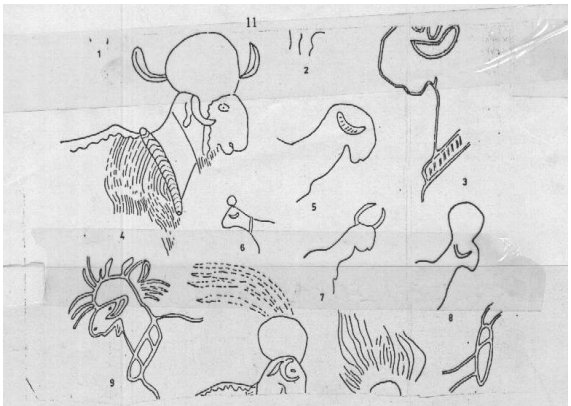

Lhote (H) , Les gravures rupestres du sud oranais , P, 179 : الصورة رقم 10

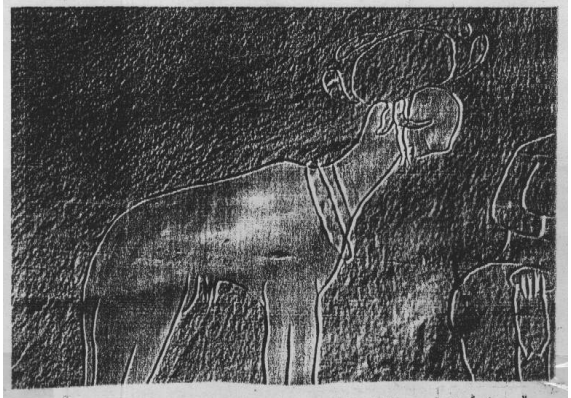

Lhote (H) , Gravure rupestre de l Atlas saharien , 1984, PP, 64,112 : الصورة رقم 11

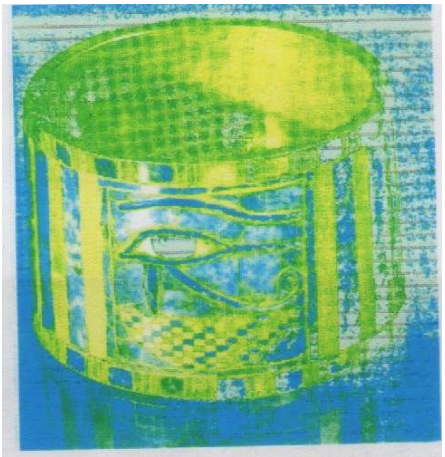

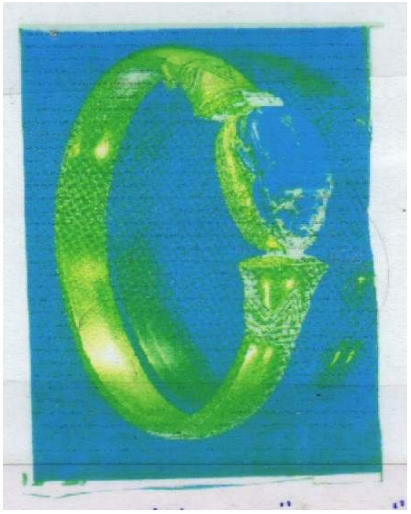

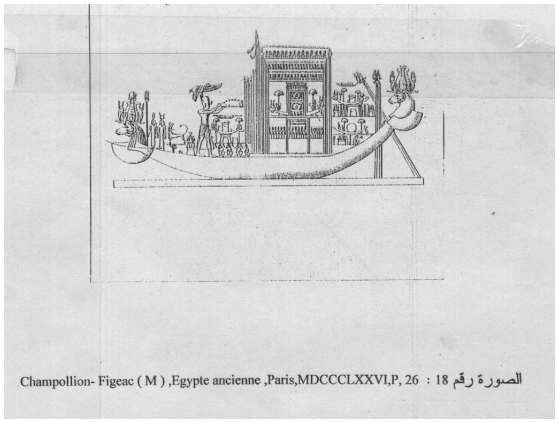

الصورة رقم 18 : Champollion- Figeac (M) ,Egypte ancienne ,Paris,MDCCCLXXVI,P, 26

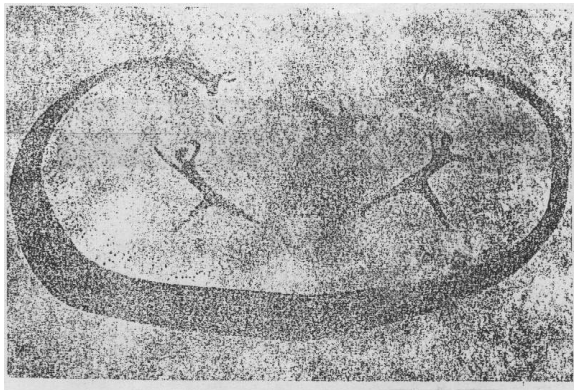

الصورة رقم 17 : صورة للقُارب المصري في التاسيلي (جنوب الجزائر)

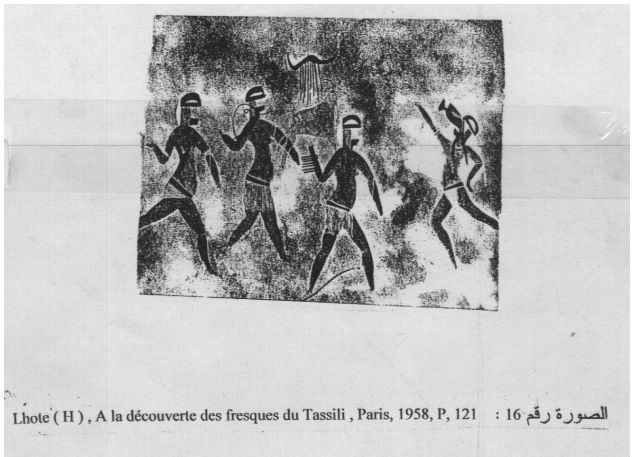

الصورة رقم 16 : Lhote (H) , A la découverte des fresques du Tassili , Paris, 1958, P, 121